

وفد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً منكراً جداً فقال : حدثنا وهب بن إبراهيم القاضي سنة خمس وخمسين ومائتين ، حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي ، حدثنا مقاتل بن حيان عن الأصمغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال : لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ فصل لربك وانحر ﴿ قال رسول الله ﷺ : يا جبريل ماهذه النجيرة التي أمرني بها ربي ؟ ﴾ فقال : ليست بنجيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة أرفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع ، وإذا سجدت فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع ، وإن لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . وهكذا رواه الحاكم في المستدرک من حديث إسرائيل بن حاتم به ، وعن عطاء الخراساني : ﴿وانحر﴾ أي أرفع صلبك بعد الركوع واعتدل وأبرز نحرك يعني به الاعتدال ، رواه ابن أبي حاتم وكل هذه الأقوال غريبة جداً ، والصحيح القول الأول أن المراد بالانحر ذبج المناسك ، ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول : «من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له» فقام أبو بردة بن نيار فقال : يا رسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم . قال : «شانتك شاة لحم» قال : فإن عندي عناقاً هي أحب إلي من شاتين أنتجزيء عني ؟ قال : «تجزيءك وما تجزيء أحدأ بعدك» . قال أبو جعفر بن جرير : والصواب قول من قال إن معنى ذلك فأجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والالهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له ونحسك به ، وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء . وقوله تعالى : ﴿إِن شِئْتُمْ لَوَاقِدَ الْكِبْرِيتِ﴾ أي إن مبعضك يا محمد ومبعض ماجئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبر الأقل الأذل المنقطع ذكره ، قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة : نزلت في العاص بن وائل ، وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول : دعوه فإنه رجل أبر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة ، وقال شمر بن عطية : نزلت في عقبه بن أبي معيط .

وقال ابن عباس أيضاً وعكرمة : نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش ، وقال البزار : حدثنا زياد بن يحيى الحساني ، حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصبي المنتير من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال : أنتم خير منه ؛ قال فنزلت ﴿إِن شِئْتُمْ لَوَاقِدَ الْكِبْرِيتِ﴾ هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء : نزلت في أبي لهب ، وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك ﴿إِن شِئْتُمْ لَوَاقِدَ الْكِبْرِيتِ﴾ .

وعن ابن عباس : نزلت في أبي جهل ، وعنه : إن شانتك يعني عدوك ، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم ، وقال عكرمة : الأبر الفرد ، وقال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا بتر ، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد ، فأنزل الله ﴿إِن شِئْتُمْ لَوَاقِدَ الْكِبْرِيتِ﴾ وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبر الذي إذا مات انقطع ذكره ، فتوهوا خهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره ، وحاشا وكلا بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمراً على دوام الأباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد . آخر تفسير سورة الكوثر ، والله الحمد والمنة .

## سُورَةُ الْكَافِرُونَ

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة وب﴿قل هو الله أحد﴾ في ركعتي الطواف ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بها في ركعتي الفجر . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين ، قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بصمًا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة ، ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ . وقال أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال : رمقت النبي ﷺ أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب ب﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ وقال أحمد : حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبد الله بن الزبير ، حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد

عن ابن عمر قال : رمقت النبي ﷺ شهراً ، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أحمد الزبيرى ، وأخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي إسحاق به ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق عن فروة بن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له : « هل لك في ربيبة لنا تكفلها ؟ » قال : أراها زينب ، قال ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها قال : « ما فعلت الجارية ؟ » قال : تركتها عند أمها . قال : « فمجيء ما جاء بك » قال : جئت لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي قال : « اقرأ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك » تفرد به أحمد . وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عمر القطراني حدثنا محمد بن الطفيل ، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن جبلة بن حارثة . وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي ﷺ قال : « إذا أويت إلى فراشك فاقراً ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ حتى تمر بأخوها فإنها براءة من الشرك » . وروى الطبراني من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدي عن عبد الرحمن بن زيد أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ حتى يئتمها وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال : قلت لرسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامي ، قال : « إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقراً ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ فإنها براءة من الشرك » والله أعلم .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون ، وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض ، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش ، وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلمة فقال : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ يعني من الأصنام والأنداد ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ وهو الله وحده لا شريك له ، فما ههنا معنى من ، ثم قال : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴿ أَي وَلَا أَعْبُدُ عِبَادَتِكُمْ أَي لَا أَسْلُكُهَا وَلَا أَتَدْبِرُهَا وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَجِبُ وَيَرْضَاهُ ، ولهذا قال : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته ، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قال ﴿ إِنْ يَشْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ .

فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه ، فإن العابد لا يبد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ، ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله أي لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول ﷺ ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وقال ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ . وقال البخاري يقال : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ الكفر ﴿ وَلِيَ دِينِ ﴾ الإسلام ولم يقل ديني لأن الآيات بالنون فحذف الباء كما قال ﴿ فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ ﴿ وَيُشْفِينِ ﴾ وقال غيره : لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ولا أنتم عابدون ما أعبد ، وهم الذين قال ﴿ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ انتهى ما ذكره . ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ إن مع العسر يسراً . وكقوله ﴿ لَتَرُونَ الْحُجُومَ ﴾ ثم لترونها عين اليقين وحكاية بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن تقيية ، فالله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال [أولها] ما ذكرناه أولاً [والثاني] ما حكاها البخاري وغيره من المفسرين أن المراد ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد في الماضي ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبد في المستقبل

[الثالث] إن ذلك تأكيد محض [وتم قول رابع] نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله ﴿لَا أُعِيدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ نفي الفعل لأنها جملة فعلية ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ نفي قبوله لذلك بالكلية لأن النفي بالجملة الاسمية أكد ، فكأنه نفي الفعل وكونه قابلاً لذلك ، ومعناه نفي الوقوع ونفي الإمكان الشرعي أيضاً ، وهو قول حسن أيضاً ؛ والله أعلم ، وقد استدلل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ على أن الكفر كله ملة واحدة ، فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث لأن الأديان ماعدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصارى من اليهود ، وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ ﴿لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى﴾ . آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون .

## سُورَةُ النَّصْرِ

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال النسائي : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أخبرنا جعفر عن أبي العباس وأخبرنا محمد بن سليمان ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو العباس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : يا ابن عتبة ، أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت : نعم ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال صدقت . وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة البريدي عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال : أنزلت هذه الصورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق ، فعرف أنه الوداع فأمر براحله القصواء فرحلت ، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة وقال الحافظ البيهقي : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا الأسقاطي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال «إنه قد نعت إلي نفسي» فبكت ثم ضحكت وقالت : أخبرني أنه نعت إليه نفسه فبكت ثم قال «اصبري فإنك أول أهلي لحاقاً بي» فضحكت ، وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ  
وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ تَوَّابٌ ﴿٣﴾

قال البخاري : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه عن قد علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخلني معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يوماً إلا ليريم ، فقال : ماتقولون في قول الله عز وجل ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أأنتك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ماتقول ، تفرد به البخاري . وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهرا عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس ، فذكر مثل هذه القصة أو نحوها .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ : «نعت إلي نفسي» فإني مقبوض في تلك السنة ، تفرد به أحمد : وروى العوفي عن